من معالم الحج والزيارة
يلملم

الدكتور عبد الهادي الفضلي

يلملم معلمة من معالم الحج المهمة لأنه من المواقيت التي وقّتها رسول الله ﷺ، والحديث فيه أو البحث عنه يتطلب تصنيف الموضوع إلى الجوانب التالية:

١ ـ البحث عنه لغوياً.

٢ ـ البحث عنه جغرافياً.

٣ ـ البحث عنه حديثياً.

٤ ـ البحث عنه فقهياً.

فنقول ـ والله ولي التوفيق ـ:

يلملم لغوياً:

ـ (لغات الكلمة):

ذكرت المعاجم التي بين يدي ثلاث لغات (لهجات) للكلمة، هي: (يلملم)، (ألملم)، (يرموم).

وسمعت عند زيارتي للمنطقة من بعض أفراد قبيلة (فَهْم) القاطنين في أرض (الوَدْيان) من مركز يلملم ثلاث لهجات، هي: يلملم وألملم، وململم... ويضيف الهمداني في (صفة جزيرة العرب) ص٣٢٦ لهجة أخرىٰ هي: (لملم).

ـ (جذر الكلمة):

وقد أدّىٰ تعدد اللهجة في هذه الكلمة على الاختلاف بين اللغويين في تحديد جذر الكلمة والمادة الأصلية لها التي تدرج في المعجم تحت عنوانها، ويرجع إليها لمعرفة معناها اللغوي إلى الأقوال التالية:

١ ـ ذهب الأزهري وابن فارس إلىٰ أن الكلمة من المزيد الذي في أوله ياء، قال ابن فارس في (المجمل) ـ ٩٤٣/٤ ـ ٩٤٤ ـ (باب ما زاد علىٰ ثلاثة أحرف أوله ياء): «اليسروع: دويبة تشبّه بها أصابع النساء لنعومتها وبياضها، ويبرين: موضع، وكذلك [يمؤود] ويلملم...، وسبيل الياء سبيل الهمزة الزائدة في الرباعي والخماسي، لأن الياء إنما يعتبر بها في هذين البابين الحرف الذي بعدها».

وقال في (المقاييس) ـ ١٦٠/٦ ـ: «فأمّا ما زاد على الثلاثة في هذا الباب مثل (اليربوع) وهي دويبة، و(يبرين) وهو موضع، و(يمؤود) و(يلملم) وهما موضعان، و(اليرندج) وهي جلود سود، وما أشبه ذلك، فإن سبيل الياء في أوائلها سبيل الهمزة في الرباعي والخماسي فانهما زائدتان، وانما الاعتبار بما يجيء بعد الياء، كما هو الاعتبار في باب الهمزة بما يجيء بعدها».

ونستخلص منه: أن جذر الكلمة ومادتها عنده (لملم)، والياء في (يلملم) مزيدة، والألف في (ألملم) مبدلة من الياء، وفي (يرموم) زيدت الياء، وأبدلت الراءان من اللامين.

وتابعهما علىٰ ذلك المعلم البستاني في (محيط المحيط) فذكر الكلمة بلغاتها الثلاث في مادة (لملم).

٢ ـ وذكر ابن منظور في (لسان العرب): يلملم في مادة (يلم)، ويرموم في مادة

(رمم)، ويلملم وألملم في مادة (لمم).

ويعني هذا أن جذر الكلمة عنده ومادتها ثلاثي، وهو بالنسبة إلىٰ كلمة (يرموم): (رمم)، و(يلملم) من غير إبدال (يلم)، وبإبدال يائها همزة (لمم).

وتابعه علىٰ ذلك الفيومي في (المصباح المنير) مع فارق اعتباره الأصل في الكلمة (ألملم) ـ بالهمزة ـ، والياء في (يلملم) مبدلة من الهمزة، ولذا اعتد جذر الكلمة ومادتها (ألم).

ونسق (المعجم الكبير) نسق (المصباح المنير)، وكذلك (تاج العروس) حيث ذكرت الكلمة فيه في مواد: (يلم) و(لمم) و(رمم).

ـ(وزن الكلمة):

أما وزن الكلمة فلا خلاف بينهم في أن وزنها (فَعَلْعَلَ)، قال ابن منظور في (اللسان) ـ مادة يلم ـ: «قال ابن بري: قال أبو علي: يلملم فَعَلْعَل، الياء فاء الكلمة واللام عينها والميم لامها».

ويدل هذا علىٰ أن الياء في الكلمة أصل وليس زائداً، وهو ما ذهب إليه ابن منظور ـ كما تقدم.

يلملم جغرافياً:

قال البكري في (معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع) ـ ١٨٧/١: «أَلملم ـ بفتح أوله ـ قال أبو الفتح: هو فَعَلْعَل ـ بفتح أوله ـ كصَمَحْمَح، ولا يكون من لفظ لملمتُ، لأن ذوات الأربعة لا تلحقها الزيادة في أولها إلّا في الأسماء الجارية علىٰ أفعالها، نحو مُدَحْرج.

ويقال أيضاً: يلملم، وكذلك القول فيه، لأن الياء بدل من الهمزة. وهو جبل من كبار جبال تهامة، علىٰ ليلتين من مكة، أهله كنانة، وأوديته تصب في البحر، قال سلمىٰ بن المُقْعَد:

ولقد نزعنا من مجالس نخلة ... فنجيزُ من حُتُنٍ بياضَ ألملما»

وفي ١٣٩٨/٢ قال: «يلملم ـ بفتح أوله وثانيه ـ جبل علىٰ ليلتين من مكة، من جبال تهـامة، وأهل كنانة، تنحدر أوديته إلى البحر. وهو في طريق اليمـن إلىٰ مكّة، وهو ميقات من حج من هناك.

ويقال: ألملم ـ بالهمز ـ وهو الأصل، والياء بدل من الهمزة، ـ وقد تقدم ذلك في حرف الهمزة ـ، وقال طُفيل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنـها ... رداة تدلّتْ من فروع يلملم

وقال ابن مُقبل:

تراعـي عـنوداً فـي الريـا وكأنـها ... سهيل بدا في عارضٍ من يـلملما»

وقال الهمداني في (صفة جزيرة العرب): ص٣٢٦: «ويلملم: ميقات أهـل تهامة.

وجاء في بعض الحديث: ألملم، مكان الياء همزة، قال طُفيل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنـها ... رداة تدلت من فروع يلملم

وقال: لملم أيضاً».

وقـال يـاقوت في (مـعجم البـلدان) ـ ٤٤١/٥ ـ: «يـلملم: ويـقال: ألملم ـ والململم المجموع ـ: موضع علىٰ ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهـل اليمـن، وفيه مسجد معاذ بن جبل.

وقال المرزوقي: هو جبل من الطائف علىٰ ليلتين أو ثلاث.

وقيل: هو وادٍ هناك. قال أبو دهبل:

فـما نـام مـن راعٍ ولا ارتـد سـامرٌ ... من الحي حتىٰ جاوزتْ بي يلملما»

وقال البلادي في (معجم معالم الحجاز) ـ ٢٨/١٠ ـ ٢٩ ـ: «يلملم ـ ياء مثناة

تحت، مفتوحة، وتكرير اللام والميم ـ: وادٍ فحلٍ من أودية الحجاز التهامية يأخذ أعلىٰ مساقط مياهه من شفا بني سفيان، علىٰ قرابة (٣٠) كيلاً جنوب غربي الطائف، ثم يندفع غرباً في انحدار عميق بين صلاهيج[1] جبال فيمر بالسعدية ميقات أهل اليمن علىٰ طريق تهامة، علىٰ (١٠٠ كيل) جنوب مكّة، فيصب في البحر جنوب جدة علىٰ مسافة مرحلتين.

وهو وادٍ متعدد الروافد، منها: حُتُن، ووَدْيان، وتَصِيل، ونُمار، وشكيل، وغيرها كثير ممّا يجعل سيله جارفاً.

وبه بعض الأراضي الصالحة للزراعة، ولكن لم تستصلح بعدُ. ونباته الأراك.

وسكانه: في صدره: فَهْم، وبقية بني صاهلة من هُذيل، وأسفله: المجادلة من بني شعبة من كنانة.

وروافده الشمالية من ديار هُذيل.

فيه مركز حكومي تابع لإمارة الليث، وبه مركز صحي، ومقترح انشاء مدرسة في السعدية، وقد أنشئت، وأنشئت مدرسة بالملاقي حيث الامارة.

وإمارته تضم قبيلة فهم فقط.

أما أسافله ففي السعدية امارة تابعة لقائم مقام مكّة».

وقال في المصدر نفسه ص٢٩: «يلملم، ويقال: ألملم، والململم المجموع: موضع علىٰ ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل.

وقال المرزوقي: هو جبل من الطائف علىٰ ليلتين أو ثلاث.

وقيل: هو وادٍ هناك، قال أبو دهبل:

فما نام راعٍ ولا ارتد سامرٌ من الحي حتىٰ جاوزتْ بي يلملما[2]

وقال البكري: من جبال تهامة، وأهله كنانة، تنحدر أوديته إلى البحر، وهو في طريق اليمن إلىٰ مكّة، وهو ميقات من حج من هناك، ويقال: ألملم ـ بالهمزة ـ

وهو الأصل، والياء بدل من الهمزة ـ وقد تقدم في حرف الهمزة ـ، وقال طُفيل:

وسلهبةٍ تنضو الجياد وكأنها سهيل بدا في عارض من يلملما».

وجاء في (المعجم الكبير) ـ مادة ألملم ـ: «ألملم (فَعَلْعَل): جبل من جبال تهامة علىٰ ليلتين من مكّة (نحو ٦٠ ك.م)، وهو ميقات أهل اليمن وأهل تهامة في الحج.

وأهله كنانة، وأوديته تصب في البحر».

وفي (محيط المحيط) ـ مادة لملم ـ: «ويلملم أو ألملم أو يرمرم: ميقات أهل اليمن، وهو جبل علىٰ مرحلتين من مكة».

وفي (المصباح المنير) ـ مادة ألم ـ: «وألملم: جبل «في» تهامة، علىٰ ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهل اليمن».

وفي (النهاية) ـ لابن الأثير ـ: «يلملم: فيه ذكر (يلملم) وهو ميقات أهل اليمن، بينه وبين مكّة ليلتان».

وقال الزبيدي في (تاج العروس) ـ مادة لمم ـ: «ويلملم وألملم أو يرموم، الثانية على البدل، ميقات أهل اليمن، للاحرام بالحج، وهو جبل علىٰ مرحلتين من مكّة، وقد وردتُهُ».

ونستنتج من هذا:

١ ـ أن الجغرافيين واللغويين القدامىٰ اتبعوا في تحديد موقع (يلملم) الطريقة المألوفة لديهم قديماً، وهي اعتبار الوحدة القياسية للمسافة بين منزلين (والمنزل ـ هنا ـ يراد به ما تنزله القوافل اثناء قطعها للمسافات) الليلة، ويريدون بها الامتداد المكاني الذي يقطعه السائر في نحو ليلة زمنية.

وقد يطلقون على الليلة باعتبارها وحدة قياسية للمسافة المرحلة ـ كما رأينا في نص التاج ـ.

وتقدر الليلة بالكيلومتر (الوحدة القياسية المتعارفة الآن في بلداننا الاسلامية) بـ(٥٠ كم) ـ خمسين كيلومتراً ـ قد تنقص قليلاً، نظراً لاختلاف الطرق التي كانت تسلك قديماً سهولة وحزونة.

٢ ـ ان يلملم منزل من منازل الطريق بين مكّة المكرّمة واليمن، ويبعد عن مكّة بمرحلتين أو ليلتين، أي: بينه وبين مكّة المكرمة حوالى (١٠٠ كم) ـ مئة كيلومتر ـ.

وقدّرت المسافة في بعض المناسك ـ أمثال: منسك الشيخ محمد طاهر الخاقاني ومنسك الشهيد الصدر ومنسك السيد الگلبايگاني ـ بـ(٩٤ كم) ـ أربعة وتسعين كيلومتراً.

وهنا لابدّ من التنبيه علماً أن لليمن إلىٰ مكّة المكرّمة ثلاثة طرق، هي:

١ ـ طريق تهامة، وهو الذي يمر ببلملم.

٢ ـ طريق صنعاء ـ صعدة، ويمر ببيشة فوادي تُرَبَة فقرن المنازل فمكة.

٣ ـ طريق حضرموت ـ نجران، ويلتقي مع الطريق الثاني بقرن تثليث، فيمر أيضاً بقرن المنازل.

فالطريق المقصود هنا هو طريق تهامة.

ومنازله ـ كما في (مناسك) الحربي ص٦٤٣ ـ هي: صنعاء ـ جازان ـ الليث ـ يلملم ـ مكّة.

وعليه تكون النتيجة: إنّ لمعرفة موقع يلملم أمارتين هما:

أ ـ وقوعه علىٰ طريق اليمن ـ مكّة التهامي.

ب ـ وعلىٰ بُعد مرحلتين أو ليلتين من مكّة.

وقد قمت في يوم الأحد ١٤٠٩/٦/١٥هـ الموافق ١٩٨٩/١/٢٧م برحلة استطلاعية بغية إجراء دراسة ميدانية للموقع الراهن.

غادرت جدة الساعة الثامنة صباحاً بسيارة (جيب تويوتا)، وكان معي

ابناي معاد وفؤاد وابنا عمتها وهما السيدان حسن وحسين الخليفة، وسلكنا من مكّة المكرّمة الطريق الساحلي الذي يعرف بطريق الليث، وطريق اليمن الساحلي.

وأهم المدن التي يمر بها الطريق، هي: مكّة المكرّمة ـ القنفذة ـ جيزان ـ حرض (وهو جمرك الحدود السعودية) ـ اليمن.

وبعد ١٠٠كم من مكّة تقع علىٰ يمين الطريق محطة بنزين تعرف بـ(محطة الطَفيل) ـ بفتح الطاء ـ، ويقابلها علىٰ يسرة الطريق مسجد حديث من انشاء الحكومة السعودية للاحرام منه باعتباره محاذياً للميقات، إلّا انه كان مغلقاً ومهملاً حال وصولنا إليه؛ لعزوف الحجاج عن الاحرام منه بسبب عدم تيقنهم محاذاته للميقات.

وبعد ١١٠كم من مكة وعلىٰ يمين الطريق أيضاً هناك محطة تسمىٰ (محطة المجيرمة)، وتحاذي هذه المحطةُ مركزَ السعدية الآتي ذكره بعد قليل.

وبعد ١٢٦كم من مكة علىٰ يسار الطريق محطة ثالثة معروفة بـ(محطة الميقات) لأنها تحاذي ميقات يلملم، وقد أشير إلىٰ هذا في لوحة منصوبة علىٰ حافة الطريق، وفيها مسجد من الطين رجع بناؤه إلىٰ عهد قريب، وآخر من البناء الجاهز من إنشاء الحكومة السعودية، وحمامات بدائية مصنوعة من الخشب العادي لاغتسال الحجاج، ينقل إليها الماء يدوياً من صهاريج من الصفيح قريبة من المقهىٰ، وفيها أكثر من مقهىٰ وأكثر من بقالة لبيع المواد الغذائية وملابس الاحرام، وأكثر من مطعم، وكلها من النوع الشعبي البدوي.

وعندما وصلنا إلىٰ محطة الطَفيل المذكورة في الساعة العاشرة قبل الظهر انحدرنا يسرة الطريق العام من منعطف قبيل المسجد المغلق ـ المشار إليه ـ في طريق ترابية ممهدة تمهيداً يسيراً.

وسار بنا هذا الطريق آخذاً إلى اليمن حتىٰ صب ـ بعد مسافة قصيرة ـ في وادي يلملم.

وبعد أن قطعنا حوالى ٢٥كم من هذا الطريق وصلنا إلىٰ مركز (السعدية).

ورأينا في هذا المركز علىٰ حافة الوادي اليمنىٰ بستاناً لأحد أهالي مكة كما قال لنا شخص كان يستقي الماء هناك.

وعلىٰ مقربة من حافته اليسرىٰ رأينا بئراً عميقة وقديمة، عليها مضخة كهربائية تنقل الماء إلىٰ خزان منصوب علىٰ حافة الوادي اليسرىٰ، وفي داخل البئر على الجهة المقابلة للقبلة صخرة ملصقة في جدارها كتب عليها العبارة التالية: «هذه بئر العلي سلطان الهند ذي الإجلال محمد علي خان رحمه الله. صلى الله على محمد وآله. سنة ٧١١».

وعلىٰ حافة الوادي اليسرىٰ قريباً من البئر مسجد حديث ومدرسة ومستوصف، وهي من منشآت الحكومة السعودية، وبقالة وورشة لإصلاح السيارات.

وبعد بئر السعدية بحوالى كيلوين بئر اخرى مندثرة، وبالقرب منها علىٰ حافة الوادي اليسرىٰ قلعة حربية صغيرة، تشبه تماماً في تصميمها العام وأحجارها وألوانها محطة قطار الحجاز بالمدينة المنورة، كتب علىٰ إحدىٰ أحجارها: «٩٩١ محمد علي پركسحاي (؟)...».

ودلفنا إلىٰ يلملم مع الوادي، وبعد مسافة غير قليلة ضللنا الطريق خارجين من الوادي إلىٰ حَرّة علىٰ مرتفع حافته اليسرىٰ، ثم وبعد السؤال من رعاة هناك اهتدينا إلى الطريق وهبطنا الوادي ثانية، حتىٰ انتهىٰ بنا بعد خمسة وعشرين كيلومتراً من السعدية، إلى الوَدْيان، وهو مركز يلملم.

وفيه محطة بنزين وعدة بقالات ومطعمان ومقهىٰ ومسجد حديث من إنشاء الحكومة السعودية سنة ١٤٠٢هـ، ومدرسة للبنات وأخرى للبنين ومركز حكومي للإمارة، مكتوب علىٰ لوحته: (مركز إمارة يلملم التابعة لإمارة الليث)، وإمارة الليث تتبع إمارة مكّة المكرّمة.

وفيه أيضاً بعض الورش لاصلاح السيارات ولصناعة الأبواب والشبابيك الحديدية، وورش نجارة.

كما أن فيه بيوتاً قليلة بدوية المادة والبناء.

ويشرف على المركز في شرقي جنوبه جبل يلملم، ويسميه أبناء الوادي (يلملم) و(الوعرة)[٣].

وقمنا بتصوير الجبل وبعض المرافق كالمسجد والمستوصف ومدرسة البنين.

وكان وصولنا إليه في الساعة الثانية عشرة قبيل الظهر بنصف ساعة.

وبعد أن تناولنا الغداء في أحد مطعميه، عدنا يضمنا بطن الوادي، الذي مررنا فيه علىٰ كثير من شجر السُمُر والأراك.

ورأينا في جزء منه عين تنز الماء نزاً، ويسيل منها إلىٰ مسافة لا تقل عن أربعة أو خمسة كيلومترات وسط نهر صغير.

وشاهدنا في أكثر من موضع في الوادي، وفي الحِرار علىٰ حافتيه محارق لصنع الفحم من أخشاب شجر الوادي، يعمل فيها سكان الوادي، وهي على الطريقة البدائية: حفرة صغيرة لا تزيد علىٰ مترين في ثلاثة أمتار، يطرح فيها الخشب ويغطىٰ بشيء من الأعشاب اليابسة، ثمّ يلقىٰ عليه قليل من النفظ لإشعال النار، وتغلق الحفرة بالصفيح، ويستمر الإحراق نهاراً كاملاً.

وابتعنا كيساً كبيراً من الفحم بخمسين ريالاً للاستعمال المنزلي.

وصلينا الظهر في مسجد السعدية، ووصلنا إلىٰ جدة الساعة الرابعة عصراً، والحمد لله على التوفيق والسلامة.

ولا يفوتني أن أشير إلىٰ أن سكان الوادي من جهة يلملم قبيلة (فَهْم)، ومن جهة السعدية قبيلة (الجحادلة).

(نتائج الاستطلاع):

١ ـ أن وادي يلملم يبدأ من سفح جبل يلملم ضيقاً ثم يتسع شيئاً فشيئاً حتىٰ

يتلاشىٰ بعد السعدية وقبيل الطريق الساحلي العام، ليلتقي مع أودية أخرىٰ تصب جميعها في البحر الأحمر.

٢ ـ أن قمة جبل يلملم تشبه في شكلها الاسطواني قمة جبل النور بمكّة المكرّمة.

٣ ـ لم نهتد إلىٰ رؤية أثر من بقايا طريق اليمن القديم المار بيلملم مباشرة، الذي ذكره غير واحد من الجغرافيين والمؤرخين، ومنهم الحربي في (المناسك) ـ كما تقدّم ـ.

وممن ذكره الهمداني في (صفة جزيرة العرب) ص ٣٤١ قال: «محجة صنعاء إلىٰ مكّة ـ طريقة تهامة: من صنعاء: صِلِيت من البون ثم الموبد ثم أسفل العرقة وأخرف ثم الصرجة ثم رأس الشقيقة ثم حرض ثم الخصوف من بلد حكم ثم البحر ثم عثر ثم بيض ثم زنيف ثم ضنكان ثم المعقد ثم حكي ثم الجو ثم الجوينية من قنونا وتسمى القناة ثم دوفة وهي للعبديين من بقايا جرهم ثم إلى السرين ثم المعجز ثم الخيال ثم إلىٰ يلملم ثم ملكان ثم مكّة. هذه طريق الساحل.

والمحجة القديمة إلىٰ حَلي العليا وتسمىٰ حَلية، وإليها ينسب أسود حلية، وهي التي يعني الشنفري بقوله:

بريحانة من بطن حلية نوّرتْ لها أرج من حولها غير منستِ

ثم إلىٰ عشم ثم على الليث ومركوب إلىٰ يلملم».

٤ ـ رأينا آثاراً تدل علىٰ أن طريق الحاج كان يمر بالسعدية ـ التي هي محاذية ليلملم علىٰ بعد ٢٥ كم ـ منها: اصلاح بئرها، والبئر الأخرى الواقعة قريباً منها، والقلعة الحربية.

ويستنتج من نسبة إنشاء بئر السعدية والقلعة بعدها إلى الهنود أن حجاج الهند كانوا يمرون من هنا.

ويؤيد هذا ما جاء في محاضرة للاستاذ حسن بن ابراهيم الفقيه عميد الكلية المتوسطة بالقنفذة، التي ألقاها في قاعة المسرح بمقر قيادة سلاح الحدود بالقنفذة، ونشر عدد الأربعاء الأسبوعي من جريدة (المدينة) ـ التي تصدر بجدة ـ تعريفاً لها ومقتطفات منها، بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٤٠٩هـ، وعنوانها: (القنفذة مدينة قديمة يعود تاريخها إلى القرن الثامن الهجري)، فقد جاء فيها: «وتسجل بعض الوثائق التاريخية استخدام مينائها (ميناء القنفذة) باباً لمكّة المكرّمة يدخل عن طريقه حجاج جنوب الجزيرة العربية وحجاج جنوب شرق آسيا وخاصة حجاج الهند».

ولعل ما جاء في (كتاب الفقه على المذاهب الأربعة) ـ ١/ ٦٤٠ ـ من أن يلملم ميقات لأهل اليمن والهند، يشير إلىٰ هذا أيضاً ويؤكده.

ويعني هذا أن الطريق القديم المار ببلملم مباشرة تحول إلىٰ طريق السعدية، ثمّ تحول إلى الطريق الساحلي الحاضر.

وبين طريق يلملم الراهن ٢٥ كم، فيكون بين موضع المحاذاة في الطريق الراهن وجبل يلملم ٥٠ كم.

وممّن أشار إلىٰ اتخاذ حجاج اليمن موضع السعدية محرماً المؤرخ التركي أيوب صبري باشا في كتابه (مرآة جزيرة العرب) ـ ٢/ ٢٤٦ ـ ترجمة الدكتور أحمد فؤاد متولي والدكتور الصفصافي أحمد المرسي، فقد جاء فيه تحت عنوان: (بداية المحمل اليمني وانقطاعه): «بدأ الوزير مصطفىٰ باشا والي اليمن ينظم موكب المحمل الشريف باسم محمل صنعاء اليمن منذ سنة ٩٦٣هـ بعد الفرمان الصادر بهذا الخصوص، والذي يسمح له بذلك، وعند وصول المحمل المذكور إلىٰ مكّة المكرّمة كان المرحوم الشريف حسن يستقبله في (بركة ماجن) ثم يدخل المدينة.

تتحرك القوافل من (جبس) وتتجه نحو زبيد وتبقىٰ في موقع (المخا) الواقع في الجنوب من الموقع السابق.

وتتحرك القافلة من زبيد متجهة نحو مرحلة (رفع) ومنها إلىٰ (بيت العقبة الصغير) ومن هناك إلىٰ (قطيع) ومنها إلى (المنصورية) ثم قلعة (فراوع) ومنها إلىٰ (غاغية) ثم تنزل القوافل في (بيت الفقيه الكبير).

وأحياناً يسلك حجاج صنعاء طريق بلاد (حباب وطويلة وبلاد بني الخياط وبلاد بني الأهلية) ثم يواصلون سيرهم في الطريق المعتاد.

وتتجه القوافل التي ترد من أحد هذين الطريقين من بيت فقيه إلىٰ (صعلب) ومنها إلىٰ (دومة)، ومن هناك إلىٰ (حيوان) وبعدها إلىٰ (عالية)، ومنها إلىٰ (أبو عريش) ثم (سلامة)، ومنها إلىٰ (ربيش) ومن هناك إلىٰ (نماو) ومن نماو إلىٰ (عتود) ومنها إلىٰ (شفيق) ثم (أبيار)، ومن هناك إلىٰ (دهيان) حيث تحط القوافل رحالها تستريح وتتزود بزاد الطريق.

وتكثر الأشجار المسماة (شجر المقل) في أراضي مرحلة دهيان هذه.

وتدخل قوافل الحج التي تغادر دهيان إلىٰ منزل (بركة) التي من جملة آثار عمرو بن منصور من ملوك بني رسول.

ثم تتحرك القوافل نحو (شفق)، ومنها تعاود سيرها حتىٰ تنزل في استراحة (قنوتا)، وهذه الاستراحة في وادٍ مياهه وفيرة، وله اسم آخر هو (الواديين).

وتصل القوافل التي تغادر مرحلة قنوتا إلىٰ (ليثة) [= الليث]، ثم منزل (هصم) المشهور بكثرة مائه، ثم تصل مرحلة (سعدية) التي تعد ميقات سكان تهامة اليمن.

وتعتبر مرحلة سعدية هذه من أكثر المراحل ماء، وتبعد عن منزل (يلملم) ثمانية عشر ميلاً».

٥ ـ أن ما يعرف الآن بمحطة الميقات، والتي هي محرم الحاج في عصرنا هذا، لا تحاذي السعدية، ولكن بالإمكان أن تحاذي يلملم لانعطاف الوادي.

والمحطة التي تليها والتي تعرف بمحطة المجيرمة تحاذي السعدية، ولأنها تحاذي

السعدية تحاذي يلملم أيضاً.

أما محطة الطفيل فتحاذي السعدية ويلملم معاً، وقد أنشأت الحكومة السعودية فيها مسجداً ليكون المحرم المحاذي، ولكن عزوف الحاج اليماني عنه واستمراره على الإحرام من محطة الميقات، استدعى الحكومة غلقه والإعراض عنه.

يلملم حديثياً:

ورد توقيت (يلملم) محرماً في الأحاديث التي تكفلت بذكر المواقيت الخمسة، وهي أمثال:

ـ صحيح معاوية بن عمار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: قال: «من تمام الحج والعمرة أن تحرم من المواقيت التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله، لا تجاوزها إلّا وأنت محرم، فإنه وقت لأهل العراق ـ ولم يكن يومئذ عراق ـ بطن العقيق من قبل أهل العراق، ووقّت لأهل اليمن يلملم، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل المغرب الجحفة ـ وهي مهيعة ـ ووقّت لأهل المدينة ذا الحليفة، ومن كان منزله خلف هذه المواقيت من ما يلي مكة فوقته منزله»(٤).

ـ حسن الحلبي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «الإحرام من مواقيت خمسة، وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله، لا ينبغي لحاج ولا لمعتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها.

وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة وهو مسجد الشجرة، يصلى فيه ويفرض الحج، ووقّت لأهل الشام الجحفة، ووقّت لأهل نجد العقيق، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل اليمن يلملم، ولا ينبغي لأحد أن يرغب عن مواقيت رسول الله صلى الله عليه وآله»(٥).

وبهذين الحديثين الشريفين وأمثالهما احتج فقهاؤنا علىٰ مشروعية توقيت يلملم محرماً، وشرعية الإحرام منه.

وهناك أحاديث أخرىٰ ذكر فيها أن وقت أهل اليمن هو قرن المنازل، كالذي

رواه عبدالله بن جعفر في (قرب الإسناد) عن أحمد بن محمد بن عيسىٰ عن الحسن ابن محبوب عن علي بن رئاب، قال: سألت أبا عبدالله (الصادق) عليه السلام عن الأوقات التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة وهي الشجرة، ووقّت لأهل الشام الجحفة، ووقّت لأهل اليمن قرن المنازل، ولأهل نجد العقيق»[٦].

والجمع بين الطائفتين من أحاديث التوقيت لأهل اليمن، هو أن الأحاديث التي ذكر فيها أن يلملم هو وقت أهل اليمن أريد بها من يمر من أهل اليمن علىٰ طريق تهامة ـ وهو الطريق الساحلي ـ والأول من الطرق الثلاثة التي ذكرتها آنفاً نقلاً عن (مناسك الحربي).

أما الأحاديث التي ذكر فيها أن ميقات أهل اليمن هو قرن المنازل، فأريد بها من يسلك من أهل اليمن أحد الطريقين الآخرين اللذين يمران بقرن المنازل، وهما: طريق صنعاء ـ صعدة، وطريق حضرموت ـ نجران، أو غيرهما من الطرق المارة بالطائف.

وبهذا تكون الأحاديث بمجموعتيها قد غطّت جميع الطرق من اليمن إلىٰ مكّة المكرّمة، التي كانت علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أو في العصر الإسلامي الأول وما بعده حتىٰ عصرنا هذا.

يلملم فقهياً:

واستناداً إلى النصوص الشرعية المتقدّمة وأمثالها أفتىٰ فقهاؤنا بمشروعية اعتبار يلملم محرماً، وبشرعية الإحرام منه، ولا خلاف بينهم في ذلك.

وقد اختلفت عباراتهم في التعبير عن ذلك بين مطلق ومقيد، ومنها:

ـ ما جاء في (المقنع) و(الهداية) للصدوق و(النهاية) و(الجمل) للطوسي و(الشرائع) للمحقق: «ولأهل اليمن يلملم».

ـ وفي (المقنعة) للمفيد: «ووقّت لأهل اليمن يلملم، وهي ميقاتهم وميقات كلّ

من صحبهم من الحاج في طريقهم ومرّ عليه».

ـ وفي (الجمل) للمرتضىٰ و(الكافي) لابن الصلاح و(المراسم) لسلّار و(الجامع) لابن سعيد: «وميقات أهل اليمن يلملم».

ـ وفي (الاصباح) للصهرشتي و(الغنية) لابن زُهرة: «ولمن حجّ علىٰ طريق اليمن يلملم».

ـ وفي (المهذب) لابن البراج: «ويلملم وذلك ميقات أهل اليمن ومن حجّ علىٰ طريقهم».

ـ وفي (السرائر) لابن إدريس: «ووقّت لأهل اليمن جبلاً يقال له يلملم، ويقال ألملم».

ـ وفي (الإشارة) لابن أبي الفضل: «أو يلملم ويختص باليمنيين ومَن نحا نحوهم».

ـ وفي (الوسيلة) لابن حمزة: «والرابع ميقات أهل اليمن وهو يلملم».

ـ وفي (القواعد) للعلّامة و(الابتهاج) لآل عصفور: «ولليمن جبل يقال له يلملم».

ـ وفي (اللمعة) للشهيد: «ويلملم لليمن»[٧].

ـ وفي (الهداية) لفتاوى الشيخ يوسف البحراني: «ويلملم لأهل اليمن ومَن والاهم».

ـ وفي (العروة) لليزدي: «الرابع يلملم وهو لأهل اليمن».

ـ وفي (المنهاج) للحكيم: «الخامس يلملم وهو ميقات أهل اليمن ومَن عبر علىٰ طريقهم إلىٰ مكّة من أهل الآفاق الأخر».

ـ وفي (المنهج) للخنيزي: «ويلملم لأهل اليمن».

ـ وفي (المناسك) للخوئي: «الرابع يلملم وهو ميقات من أراد الحج عن طريق اليمن».

ـ وفي (الموجز) للصدر: «الرابع يلملم» وهو جبل من جبال تهامة، ويقال إن بعده عن مكّة يقدر بأربعة وتسعين كيلومتراً».

ـ وفي (الرسالة) للخاقاني: «الميقات الرابع يلملم وهو ميقات أهل اليمن وكلّ مَن جاء علىٰ طريق يلملم وجب عليه الإحرام منه، ويبعد هذا الميقات عن مكة بأربعة وتسعين كيلومتراً».

ـ وفي (المناسك) للگلبايگاني: «خامساً يلملم وهو جبل من جبال تهامة، ويبعد عن مكّة المكرّمة أربعة وتسعين كيلومتراً تقريباً، وهو ميقات أهل اليمن ومن يمرّ علىٰ طريقهم إلىٰ مكّة من أهل الآفاق والأقطار والأمصار الأخرىٰ»[٨].

أطلت بذكر الفتاوى لأُنبه علىٰ شيء مهم هنا، وهو أن جميع هؤلاء المفتين قصروا ميقات أهل اليمن علىٰ يلملم، والأمر ـ كما رأينا في النصوص الشرعية من الروايات المذكورة في أعلاه وأمثالها ـ ليس كذلك، لأن لليمن طرقاً أخرىٰ لا تمرّ علىٰ يلملم، وانها تسلك إلى الطائف حيث يكون الميقات قرن المنازل، والمحرم المحاذي وادي محرم.

ولأن الفتاوىٰ ـ عادة ـ يفتىٰ بها ليعمل المقلِد علىٰ وفقها، كان على المفتى تعرف طرق اليمن أولاً والمنازل التي تمر بها إلىٰ مكّة، ثم الإفتاء في ضوء هذا.

فكان الذي ينبغي أن يعبّر به للافتاء أن يقال: (يلملم: ميقات من يسلك طريق اليمن التهامي (أو الساحلي) ماراً به ـ سواء كان من أهل اليمن أو تهامة أو غيرهما).

وليس هذا الأمر من الإطلاق في التعبير قاصراً علىٰ فقهاء الإمامية، فقد رأيت فيما لدي من كتب الفقه السني ما يشارك كتبنا الفقهية في هذا، ومنه:

ـ ما جاء في (المحلىٰ) لابن حزم ٧/ ٧٠: «ولمن جاء علىٰ طريق اليمن منها أو من جميع البلاد يلملم، وهو جنوب مكّة، ومنه إلىٰ مكّة ثلاثون ميلاً».

ـ وفي (الروض المربع) للبهوتي: «وميقات أهل اليمن يلملم، بينه وبين مكّة

ليلتان».

ـ وفي (كتاب الفقه على المذاهب الأربعة) ١/ ٦٤٠: «والميقات لأهل اليمن والهند يلملم ـ بفتح اللامين وسكون الميم بينهما ـ وهو جبل من جبال تهامة على مرحلتين من مكة».

ـ وفي (فقه السنة) لسيد سابق: «وميقات أهل اليمن يلملم، جبل يقع جنوب مكّة، بينه وبينها ٥٤ كيلومتراً».

ـ وفي (التحقيق والإيضاح) لابن باز: «الرابع يلملم وهو ميقات أهل اليمن».

نعم، يستثنىٰ من هذه الملاحظة الإمام الشافعي رضي الله عنه فقد تنبه لذلك، وكانت عباراته وافية بالمطلوب، وشاملة لطرق اليمن جميعها.

وقد يرجع هذا إلىٰ أنه ابن مكّة، فهو أعرف من سواه بالطرق المؤدية إليها، قال في (الأُم) ١/ ١٥٢ ـ ١٥٣: «وان قوله (يهل أهل المدينة من ذي الحليفة) إنما هو لأنهم يخرجون من بلادهم وقد يكون ذو الحليفة طريقهم وأول ميقات يمرون به.

وقوله: (وأهل الشام من الجحفة) لأنهم يخرجون من بلادهم والجحفة طريقهم وأول ميقات يمرون به، ليست المدينة ولا ذو الحليفة طريقهم، إلّا أن يعرجوا إليها.

وكذلك قوله في أهل نجد واليمن، لأن كلّ واحد منهم خارج من بلده، وكذلك أول ميقات يمرون به.

وفيه معنىٰ آخر أن أهل نجد اليمن يمرون بقرن، فلما كانت طريقهم، ولم يكلفوا أن يأتوا يلملم، وأن ميقات يلملم لأهل غور اليمن وتهامتها ممّن هي طريقهم».

ـ وهنا ملاحظة ثانية هي أن تقدير المسافة بين يلملم ومكة بـ(٥٤ كم) أو (٩٤ كم) لا تصدق على الطريق السالك بينهما في عصرنا هذا، وإنما المراد بها الطريق القديم الذي يمر بيلملم مباشرة قبل اندثاره.

ولأن المناسك والكتب الفقهية التي ذكرت فيها هذه التقديرات لفقهاء

معاصرين كان ينبغي لهم تقدير المسافة وفق واقعها الحاضر.

والواقع الحاضر هو أن المسافة بين مكّة المكرّمة ومن موضع المحاذاة إلىٰ جبل يلملم في مركز يلملم (الوَدْيان) حوالى ٥٠ كم.

ولهذا لابدّ من ذكر الطرق الراهنة السالكة إلىٰ مكة من اليمن وتهامة؛ لأضعها بين يدي الفقهاء الأجلاء للإفادة منها في مجال الإفتاء، وهي:

١ ـ اليمن ـ جيزان ـ القنفذة ـ المخواة ـ الباحة ـ الطائف ـ قرن المنازل (السيل الكبير) ـ مكة

الليث ـ مفرق المُضيليف ـ وادي محرم ـ محاذاة يلملم ـ مكة

٢ ـ اليمن ـ جيزان ـ محايل ـ المضيليف ـ محاذاة يلملم ـ مكة ـ قرن المنازل (السيل الكبير) ـ مكة ـ المخواة ـ الباحة ـ الطائف ـ وادي محرم ـ مكة

٣ ـ اليمن ـ جيزان ـ أبها ـ الباحة ـ الطائف ـ قرن المنازل (السيل الكبير) ـ مكة ـ وادي محرم ـ مكة

محايل ـ المخواة ـ الباحة ـ الطائف ـ قرن (السيل) ـ مكة ـ وادي محرم ـ مكة

المضيليف ـ محاذاة يلملم ـ مكة

وبعد هذه التطوافة العلمية لابدّ من التلميح للترويح بتطوافة أدبية نذكر فيها بعض الشعر العربي ورد فيه ذكر يلملم، فقد تغنى الشعراء العرب به مثله مثل المعالم

والمعاهد العربية الأخرىٰ... ومنه:

ـ قول أبي دَهْبَل وهب بن زمعة الجمحي (ت ٦٣هـ) يصف ناقة له «لم يكن في زمانها أسير منها ولا أحسن»[٩]:

خرجتُ بها من بطن مكّة بعدما ... أصات المنادي للصلاة وأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتد سامر ... من الليل حتىٰ جاوزتْ بي يلملما
وما ذرَّ قرن الشمس حتىٰ تبينت ... بقليبَ نخلاً مشرفاً ومخيّما
ومرَّتْ ببطن الليث تهوي كأنها ... تبادر بالإصباح نهباً مقسّماً
وجازت على البزواء والليل كاسر ... جناحيه بالبزواء ورداً وأدهما
فقلت لها قد تعتِ غير ذميمة ... وأصبح وادي البِرْك غيثاً مديما

ـ قول سلمىٰ بن المقعد:

ولقد نزعنا من مجالس نخلة ... فنجيزُ من حُثُنٍ بياضَ ألملما

ـ قول طُفيل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنها ... رداة تدلت من صخور يلملم

ـ قول ابن مُقبل:

تراعي غوداً في الرواة كأنها ... سهيل بدا في عارض من يلملما

ـ قول السيد جعفر الحلي:

والليل يشهد لي بأني ساهر ... إن طاب للناس الرقاد وهوموا
من قرحة لو أنه بيلملم ... نسفت جوانبه وساخ يلملم

ـ وقول شاعر الحجازيات الشريف الرضي من قصيدة له في رثاء والده

الحسين الموسوي المتوفى سنة ٤٠٠هـ والتي مطلعها:

وسمتك حالية الربيع المرهم ... وسقتك ساقية الغمام المرزم
ملأ الزمان منائحاً وجرائحاً ... خَبَطاً ببؤسي في الرجال وأنعم
واستخدم الأيام في أوطاره ... فليفن أبعد غاية المستخدم
اليوم أغمدتُ المهندَ في الثرىٰ ... ودفنتُ هَضْبَ متالعٍ ويلملم

ـ وقوله الآخر:

إني وإن ضرب الحجابُ بطوده ... أو حال دونك يذبلٌ ويلملمُ
لأراك في مرآة جودك مثلما ... يلقى العيانَ الناظر المتوسم

ـ ومن قصيدة يهنئ بها الوزير أبا منصور محمد بن الحسن بالمهرجان سنة ٣٧٨هـ:

إلىٰ كم تَصبّاني الغواني وبينها ... وبيني عفاف مثلُ طود يلملم

الهوامش:

(١) صلاهيج: جمع صَلْهَج وهي الصخرة العظيمة.
(٢) إلىٰ هنا ـ ممّا ذكره البلادي ـ هو نصّ عبارة ياقوت المنقولة في أعلاه، ولا أدري لماذا لم يُشر البلادي إلىٰ ذلك؟
(٣) يقال (جبل واعر) لصلابة وحزونة مرتقاه، ولعل التسمية أُخذت من هذا.
(٤) و(٥) و(٦) الوسائل: الباب الأول من اليواقيت
(٧) أُنظر: مجموعة (الحج) اعداد الشيخ علي اصغر مروارید ط. ١ (سنة ١٤٠٦هـ).
(٨) لم اذكر أرقام الصفحات من هذه الكتب المنقول عنها؛ لان موضوع المنقولات معلوم وهو (المواقيت).
(٩) الشعر والشعراء ٣٩٠، ط. ابريل ليدن ١٩٠٢م.